

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
قال المؤلف رحمه الله وغفر له وللشارح وللسامعين :

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قُبْلِكَ ﴾ [النساء: ٦٠] .

قال المصنف رحمه الله: ((باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه)) ؛ وجوب الدخول في الإسلام كله : أي في شرائع الإسلام وأوامر الإسلام وتكاليف الإسلام ، الواجب على كل مسلم أن يدخل فيها كلها ممثلاً منقاداً مستجيباً مطيعاً ما استطاع من ذلك ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) ، والله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] . فالواجب على كل مؤمن أن يدخل في الإسلام كله ؛ بمعنى أن يجاهد نفسه على تحقيق الإسلام وتكميله والمحافظة على شرائعه من فرائض وواجبات ورغائب وسنن ومستحبات ، وكلما عظم نصيبه وحظه من الإسلام عظم حظه من الخير في الدنيا والآخرة وكان من المفلحين .

قال: ((وجوب الدخول في الإسلام كله)) ؛ أي في جميع شرائع الإسلام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، مجاهداً لنفسه على تتميم إسلامه وتكميل دينه وتحقيقه على الوجه الذي يرضي الله تبارك وتعالى .
 ((الدخول في الإسلام كله)) ؛ وهذا أيضاً فيه إشارة إلى أن دخول المرء في الإسلام ليس دخولاً انتقائياً ؛ بمعنى أن ما يروق للإنسان من الأمور التي أمر بها فعله وما لا يروق له تركه ؛ وهذا حال عدد من الناس ، يعمل ما يروق له من الأعمال وما يوافق لهوى في نفسه ، وما لا يروق له ولا لهواه لا يعمل به ولا يأبه به ، وقد قال ﷺ : ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ)). . فالدخول في الإسلام كله لا يكون إلا إذا كان الإنسان بهذه الصفة ؛ راضت نفسه على تلقي الدين وأوامره بانشرح صدر وارتياح قلب وحسن إقبال على طاعة الله ﷻ ، فبمثل هذا يمكن يتيسر للإنسان بإذن الله تبارك وتعالى أن يدخل في الإسلام كله في شرائعه وواجباته .

قال: ((وترك ما سواه)) أي: من الضلالات والبدع والخرافات ، وأيضاً ترك ما سواه من الأمور المحرمات والمعاصي والآثام وإتباع شهوات النفس ، فالواجب على المسلم أن يكون مستسلماً لله ؛ فيفعل ما هو داخل في الإسلام من واجب ومستحب ، وترك محرم ومكروه ، وفعل مباح يستعين به على تحقيق إسلامه وتكميل دينه ، وما سوى ذلك يدعه . ولهذا صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ)) ؛ وقوله «تَرَكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» : أي ما لا يعنيه في الإسلام ؛ لا ما لا يعنيه في رغبته وهواه ؛ فهذا هو الواجب على المسلم أن يكون اهتمامه بإسلامه واجبات ومستحبات ، وترك للمحرمات والمكروهات ، وفعل للأمور المباحات ليستعين بها على تحقيق إسلامه ؛ لأن الإسلام هو الغاية التي وُجد لأجلها وخلق لتحقيقها .

قال : ((وقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾)) ؛ ناداهم أولاً باسم الإيمان الذي يقتضي من صاحبه فعل ما يأمر به ربه ﷻ ، لأنه يؤمن بالله رباً

خالقاً حاكماً أمراً ناهياً ، فمن مقتضيات هذا الإيمان أن يستجيب لأمر الله وأن ينقاد له ، فخاطبهم باسم الإيمان قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ؛ أي جميعاً لا تتركوا منه شيئاً ، حافظوا عليه ، ادخلوا فيه كله ، لا يكون دخول الإنسان في الإسلام حسب هوى الإنسان ، وإنما حسب ما ينال به رضا الرحمن ﷻ .
﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ : أي اجتهدوا في فعل ما تؤمرون به واجتهدوا في البعد عما تنهون عنه ؛ لا يترك شيئاً بل يجاهد نفسه على فعل كل ما أمر به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ هذا فيما يتعلق بالأوامر ، أما النواهي لم يعلق الأمر بالاستطاعة قال : ((وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)) لأن النهي ترك ، والترك مستطاع.

قال : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ؛ ولما كان أعظم ما يحول بين الإنسان وبين الدخول في السلم الذي - هو الإسلام - هو الشيطان الرجيم حذر رب العالمين في هذا السياق المبارك من خطوات الشيطان ، قال : ﴿ وَلَا تَبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ؛ لماذا؟ لأن الشيطان - أعاذنا الله جميعاً منه - ينقل الإنسان عن الإسلام عبر خطوات يجعله يخطو بها خطوة من بعدها خطوة إلى أن يتخلى عن الدين ، فيأخذ الإنسان أخذاً بعيداً عن الدين ولكنه بالتدريج ، ولهذا حذر رب العالمين من إتباع خطوات الشيطان وبين تبارك وتعالى أنه عدو ، وقد قال بعض السلف : «عدو يراك ولا تراه لشديد المؤنة» ؛ أي يجب أن تحتز منه غاية الاحتراز وتحتاط من مكره وكيد وهزمه ونفته ووسوسته بالاعتصام بالله ﷻ والاستعاذة به ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ، ﴿وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] ، ﴿قُلْ اعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦] ، فالمسلم بحاجة إلى الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان ؛ وذلك ليمضي في إسلامه دون أن ينحرف عنه يميناً أو شمالاً عبر خطوات الشيطان التي يضعها له عثرات في طريقه.

﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ وهذا فيه إشارة ؛ أن دخول المسلم في الإسلام وعنايته الشديدة به وشدة محافظته عليه تزيد في اتجاه الشيطان إليه ولإضلاله وإغوائه وصدده عن سبيل الله ، وهذه فائدة مستفادة من هذا السياق ؛ لأن الله ﷻ لما قال : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ حذر من خطوات الشيطان ؛ وهذا فيه إشارة إلى أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان إذا اجتهد في الاستمسك بالدين والمحافظة عليه والمحافظة على صلاته وعبادته ؛ فيتسلط عليه بالوساوس والهمز والنفخ والنفث ، يتسلط عليه بالنزغات ، فيحتاج من دخل في السلم كافة بعون الله تبارك وتعالى أن يُكثر من الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم ليحفظ ويوقى من شره وكيد . وقد جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له : إن اليهود تزعم أن الشيطان لا يوسوس لها

في صلاتها - يعني لا يأتيهم وساوس في الصلاة - قال: «وماذا يصنع الشيطان ببیت خرب!!» يعني ليس له فيه حاجة ، الشيطان يتجه اهتمامه إلى المقبل على الله ، المقبل على الإسلام ، الحريص على المحافظة على الدين ؛ مثل هؤلاء يقبل عليهم الشيطان لصددهم عن هذا الخير ، ولهذا صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأُطْرُقِهِ)) ؛ أي ما من طريق يسلكه ابن آدم ويمضي فيه إلا والشيطان قاعد له فيه ؛ إن كان خيراً صدّه ، وإن كان شراً أزه إليه .

ولهذا في الآية تنبيه إلى أن من دخل في السلم ووقفه الله ﷻ إلى هذا الأمر فعليه أن يُكثر من الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم ؛ لأن الشيطان قاعد له في هذا الطريق ومستمر في القعود والصد إلى أن يموت الإنسان ، ولهذا يؤثر أن الإمام أحمد رحمه الله لما حضرته الوفاة سمعه من عنده - وأظنه ابنه عبد الله - سمعه يقول : «لا بعد ، لا بعد» فسأل والده عن هذه الكلمة «لا بعد» فقال: «الشيطان جالس بحذائي ويقول : فُتني يا أحمد ، فقلت: لا بعد». يعني حتى يموت الإنسان ويخرج من هذه الدنيا ؛ وإلا الفتنة في الشيطان حتى في اللحظات الأخيرة ، بل في اللحظات الأخيرة عندما يحضر الإنسان الوفاة يكون أشد ما يكون حضوراً وحرصاً على الإنسان ليقول كلمة باطلة أو مقولة سيئة يموت عليها - والعياذ بالله - . فيحتاج المسلم إلى آخر لحظة أن يتقي الله ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم ويحافظ على إسلامه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

ثم أورد قول الله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ؛ وانبه أيضاً في هذا السياق ما جاء في السياق الذي قبله ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ ؛ فالشيطان لا يريد للإنسان دخوله في السلم ومحافظته على الإسلام ، بل يريد منه كفراً بالله ، وتحاكماً إلى الطاغوت ، وإعراضاً عن دين الله ، وأن يضل الإنسان ضلالاً بعيداً ؛ هذا الذي يريده الشيطان .

والسياق هنا في ذم جماعة من المنافقين ﴿يَزْعُمُونَ﴾ أي يدعون لأنفسهم أنهم يؤمنون بالرسول ﷺ وبما أنزل إليه ، ويدعون أيضاً أنهم يؤمنون بما أنزل على الأنبياء الذين قبله ؛ يزعمون أنهم مؤمنون بالقرآن وبالكتب المنزلة قبل القرآن ومع هذا الادعاء ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي أمروا في القرآن وفي الكتب المنزلة التي يدعون أنهم يؤمنون بها أن يكفروا بالطاغوت. والطاغوت : مشتق من الطغيان ؛ وهو ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع . فمن حكم بغير شرع الله ونصب نفسه حاكماً بغير شرع الله فهذا من الطواغيت ، وهذا نوع من الطغيان . ولا يُتَحاكَم إلى الطاغوت ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٥٠] . فالتحاكم إلى الطاغوت : هو التحاكم إلى غير شرع الله ﷻ ؛ فكيف يجتمع دعوى الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ وما أنزل على الأنبياء من قبله وفيه الأمر بالكفر بالطاغوت ثم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت !! كيف يجتمع هذا وذاك ؟ ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

وقد ذكر العلماء في كتب التفسير أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود اختصما ؛ فقال اليهودي : "نتحاكم إلى محمد ﷺ" لعلمه أنه لا يأخذ الرشوة - يحكم بالعدل ولا يقبل رشوةً - ، وقال المنافق : "نتحاكم إلى كعب بن الأشرف" لعلمه أنه يأخذ الرشوة ، ثم اتفقا أن يتحاكما إلى كاهن أو رجل من جُهيينة . فنزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ . والعبرة بعموم اللفظ ؛ فاللفظ عام ، فمن ادعى الإيمان بالله ﷻ وبما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام فليحکم الكتاب والسنة وليكن معوله كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وليأمر كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام على نفسه . وهذا هو وجه الاستشهاد بهذه الآية للترجمة ؛ الآية في التحذير من التحاكم إلى الطاغوت في مقام الأمر بالدخول في السلم كافة وترك ما سوى ذلك ؛ وذلك باستجابة المرء المسلم لله تبارك وتعالى وانقياده لأمره وتحاكمه إلى شرعه وردّه نزاعه إلى كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ، وإطراح هوى النفس أو نحو ذلك من الأمور التي جعلها بعض الناس معولاً لهم وهجروا دين الله وكتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله تعالى :

وقوله تعالى : ﴿ إِنِ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٩] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦] : «تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف ، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف» .

قال : ((وقوله تعالى ﴿ إِنِ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾)) ؛ ﴿ لَسْتُ مِنْهُمْ ﴾ يعني من كان هذا وصفهم وهذه حالهم : ﴿ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ ؛ فرقوا دينهم بسبب الأهواء التي اتبعوها ، فكلّ اتبع لنفسه هوى ، واتخذت كل طائفة منها هواها ديناً لها فنشأ عن ذلك التفرق والتشيع ، فرق وشيع و ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢] .

﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ ؛ بماذا فرقوا دينهم ؟ بالأهواء ، وقد جاء عن النبي ﷺ الإشارة إلى أن هذا التفرق حدث فيمن قبلنا وسيحدث أيضا في أمته عليه الصلاة والسلام قال : ((وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)) في الأهواء ، فالأهواء هي سبب التفرق ؛ يتخلى الإنسان عن دينه وعن كتاب ربه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فيقعون في التفرق ، وكل فرقة لها هوى تتبعه وتميل إليه يخالف هوى الفرقة الأخرى ، ولا يسلم من هذا التفرق إلا من ترك هواه ولزم كتاب ربه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ ولهذا من كان من أهل الأهواء فهو من أهل الفرقة شاء أم أبى . ولهذا أصبحت الفرقة قريناً للهوى والبدعة ، ولهذا يقال «أهل البدعة والفرقة» ، لأن الفرقة قرينة البدعة ؛ متى وجدت البدعة ووجد الهوى وجدت الفرقة ، ومتى وجدت السنة وجد الاجتماع ، ولهذا يقال «أهل السنة والجماعة» ؛ لأن السنة تجمع والبدعة تفرق ، إذا وجدت البدعة فرقت الناس . ولهذا قال بعض العلماء في قوله عليه الصلاة والسلام ((وَلَا تَبَاغَضُوا)) فيه نهي عن البدعة ، لأنها إذا وجدت وجدت البغضة ، فالبدعة تفرق والأهواء تفرق ، ولا يجمع الناس إلا الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ؛ لا يمكن أن يكون اعتصام واجتماع وترك للفرقة إلا بلزوم كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ ؛ هذه الخطوة الأولى ، الخطوة الثانية : ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ ، والخطوة الثانية ناشئة عن الخطوة الأولى ؛ إذا فرق الناس دينهم بالأهواء حدث فيهم الفرقة وحدث فيهم التشتت والتمزق وأصبحوا أحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فحذر الله تبارك وتعالى من ذلك . فأهل الأهواء ليسو من النبي عليه الصلاة والسلام في شيء ، فهم مجانبون لطريقته ، منحرفون عن نهجه ، قد تخطفتهم الأهواء وتلقفتهم الشبهات وصنوف الباطل . والآية فيها دعوة إلى الاجتماع ، وقد مر معنا في وصايا النبي عليه الصلاة والسلام الخمس ((الْجَمَاعَةُ)) ، والجماعة لا بد فيها من لزوم الحق والهدى الذي بُعث به رسول الله ﷺ . وفي الآية ذم الفرقة والافتراق والاختلاف في الدين بالأهواء والضلالات ، وفيها التحذير من البدع ؛ فكل ذلك تنتظم هذه الآية التحذير منه .

((قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾)) ؛ وهذا يكون يوم القيامة يوم الجزاء والحساب والوقوف بين يدي الله ﷻ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نسأل الله الكريم من فضله ؛ فهذه حال الفريقين : فريق يأتي وجهه مسود ، وفريق يأتي وجهه مبيض ؛ ابيض وجهه بنور القرآن ونور السنة ونور الإسلام ونور الصلاة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الإيمان ولكن جعلناه نورا» [الشورى: ٥٢] ، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] ، ((الصَّلَاةُ نُورٌ)) ، ((مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا)) ؛ فيأتي بنور الإسلام ، نور السنة ، نور العبادة والعمل والطاعة ، وصاحب الضلال والباطل يأتي مظلماً ، يأتي وهو يحمل ظلمة الباطل .

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ؛ وهذا البياض والسواد ناشئ عن بياضٍ وسوادٍ أيضاً : بياض وسواد في الدنيا ، فمن كان مع بياض السنة وبياض الدين ((تَرَكْتُمْ عَلَى الْبَيَاضِ)) ، وقريباً مر معنا قول النبي ﷺ لعمر ((لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيَاضًا نَقِيَّةً)) ؛ فمن كان على هذا البياض - بياض السنة - محافظاً عليه في حياته الدنيا يأتي يوم القيامة من هؤلاء الذين ابيضت وجوههم ، ومن كان في حياته الدنيا ماضياً مع سواد البدعة وسواد الضلال فإنه يأتي يوم القيامة بهذه الحال ؛ مسوداً وجهه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يعني يأتي مسوداً وجهه .

والبدعة تكسوا صاحبها ظلمة ؛ حتى قال عبد الله بن المبارك رحمه الله وهو من أجلة التابعين كما روى ذلك اللالكائي في كتابه «شرح الاعتقاد» : «صاحب البدعة على وجهه ظلمة وإن ادهن في اليوم ثلاثين مرة» يعني لو جاء بالدهون والمرطبات ودهن وجهه ، الظلمة باقية ، فالبدعة ظلمة على صاحبها في دنياه وأخراه ، والسنة ضياء للإنسان . وكذلك معصية الله ﷻ ظلمة ووحشة ؛ ولهذا أيضاً قال الحسن : «وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية في رقابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه» ، فيأتي في ذلته وقيد المعصية الذي طوقه ، فهذه حال المعاصي وحال البدع وحال الضلالات مع أهلها ، وأيضاً تلك حال السنة والهدى والحق مع أهلها .

قال: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية ، قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والإتلاف ، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف)) ؛ ولاحظ هنا تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية؛ ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ أي وجوه أهل السنة ؛ لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ترك لهم السنة ببيضاء نقية فأخذوا بها ، فبياضهم من بياض السنة التي تمسكوا بها واعتصموا بها وحكموها على أنفسهم ، فهذا البياض الذي كساهم هو بياض السنة ونورها وضياؤها ، والنبي عليه الصلاة والسلام بعثه رب العالمين ليخرج الناس من الظلمة إلى النور ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١] ، فلا ينال النور والضياء والبياض إلا بالسنة التي بُعث بها رسول الله ﷺ ؛ فمن كان من أهلها كان من أهل هذا البياض ومن أهل النور ، ومن كان من أهل البدعة والأهواء فهو من أهل الظلمة .

وأيضاً تأمل في كلام ابن عباس ؛ قرن الاتتلاف بالسنة والاختلاف بالبدعة ، وهذا فيه فائدة : أن السنة إذا وجدت وجد الاتتلاف ، والبدعة إذا وجدت وجد الاختلاف ؛ فالاتتلاف قرين السنة ، والاختلاف قرين البدعة ؛ والسنة تجمع ، والبدعة تفرق .

هنا لما يقال : سنة وبدعة ، وأهل سنة وأهل بدعة ، لا يُقبل في هذا الأمر مجرد الدعاوى ؛ دعوى الإنسان أنه من أهل السنة مع إقامته على البدع والضلال لا يكفي ، الدعاوى ما لم يقم عليها بينات لا تكفي ، لا بد من إقامة البرهان على صدق الدعوى ، فمن قال أنه من أهل السنة يلزم السنة ويحكم السنة على نفسه ويؤمّرها على نفسه ويجعلها حاكمةً عليه ؛ لا أن يجعل الهوى هو الحاكم على السنة ، فلا يكفي في هذا مجرد الادّعاء ، بل الواجب أن يكون من أهلها حقاً وصدقاً. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلمة عظيمة في هذا الباب تبين من هم أهل السنة ومن هم أهل البدع ؟ قال: «أئمة السنة تضاف السنة إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت السنة ، وأئمة البدعة تضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت البدعة» ؛ فمن ظهرت عليه السنة مستمسكاً بها محافظاً عليها معوّلاً عليها فهو من أهلها ، ومن صدرت منه البدعة ونافح عنها ودعا إليها فهو من أهلها وإن قال عن نفسه أنه من أهل السنة ، فإن مجرد الادّعاء لا يكفي.

قال رحمه الله :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)). فليتأمل المؤمن الذي يرجوا لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصاً قوله ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)) ، يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة . رواه الترمذي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه لكن ليس فيه ذكر النار وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود ؛ وفيه : ((إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ)). وقد تقدم قوله ((مُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ)).

ثم أورد المصنف رحمه الله حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأورد أيضاً شواهد الحديث عن أبي هريرة وعن معاوية ، وله شواهد عديدة عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ ، وهو حديث صحيح ثابت عن نبينا ﷺ ودل على معناه القرآن الكريم ومن ذلك قول الله ﷻ ﴿ وَخُضُّمٌ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ [التوبة: ٦٩] .

قال : ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ)) ؛ في حديث آخر قال : ((لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)) القذة : ريشة السهم ، ولو جئت بريش السهم ووضعتها وأردت أن تقارن بينها لا تجد بينها فرقاً ، فقوله «حذو القذة بالقذة» يعني عملاً مطابقاً ، ولا

أَبْلَغَ فِي التَّأْكِيدِ عَلَى الْمِطَابَقَةِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ ((حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَّكَانَ فِي أُمِّي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ)) ؛ عَلَانِيَةً : يَعْنِي فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ أَمَامَ النَّاسِ . هَذَا أَمْرٌ لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَحَدٌ وَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يُفْعَلُ ؛ فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ هَذَا الْأَمْرُ إِنْ كَانَ وَجَدَ فِيهِمْ فَسَيُوجَدُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَفْعَلُهُ ، لِأَنَّهُ مُطَابِقٌ ((حَذْوِ الْقَذَةِ بِالْقَذَةِ)) هَاتَ رِيَشَ السَّهْمِ وَضَعَهَا أَمَامَكَ وَقَارَنَ بَيْنَهَا لَا تَجِدَ بَيْنَهَا فَرْقًا تَجِدُهَا مُتَمَاثِلَةً مُطَابِقَةً . فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، ((لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، وَهَنَا قَالَ ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمِّي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) ؛ كُلُّ ذَلِكَ قَالَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَهَنَا لَا بَدَّ مِنْ سُؤَالٍ يُنَبِّئُهُ بِهِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَهُوَ : هَلْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ ((لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمِّي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) وَنَظَائِرُهُ فِي السَّنَةِ مِنَ الْأَحَادِيثِ كَثِيرٌ ، هَلْ هَذَا هُوَ مُجَرَّدُ مَعْلُومَةٍ لِلنَّاسِ يَعْرِفُونَهَا وَخَيْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ يَكُونُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِهِ ؟ أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ التَّحْذِيرَ ؟ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذَا خَيْرٌ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّحْذِيرِ ؛ يَحْذَرُنَا مِنْ إِتِّبَاعِهِمْ ، قَالَ لَنَا ذَلِكَ مُحْذَرًا ؛ انْتَبِهُوا ، احْذَرُوا ، لِأَنَّهُ سَيُوجَدُ فِي الْأُمَّةِ إِتِّبَاعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِرًّا شَبْرًا ذِرَاعًا ذِرَاعًا ، حَتَّىٰ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) ؛ جَحْرُ الضَّبِّ يَتَمَيَّزُ عَنْ بَقِيَّةِ جُحُورِ الدَّوَابِّ أَنَّهُ جَحْرٌ مُلْتَوِيٌّ وَمُتَعَرِّجٌ وَلَا يُوَصِّلُ إِلَى عَمْقِهِ إِلَّا بِوَعُورَةٍ وَصُعُوبَةٍ ، فَلَوْ رَكَبُوا مَا رَكَبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأُمُورِ الْوَعُورَةَ وَالْأَشْيَاءِ الْمُسْتَهْجَنَةَ وَالْمُسْتَكْرَهَةَ ؛ كُلُّ مَا فَعَلُوهُ سَيُفْعَلُ ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقَذَةِ بِالْقَذَةِ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) ، فَكُلُّ ذَلِكَ ذَكَرَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَاصِحًا وَمُحْذَرًا لِأُمَّتِهِ مِنْ أَنْ تَكُونَ حَالَهُمْ كَحَالِ أَوَّلَيْكَ ؛ تَحْذِيرًا لِلْأُمَّةِ .

وَالْعَاقِلُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ هَذَا التَّحْذِيرَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا سِيَمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اسْتَطَاعَ أَعْدَاءُ الدِّينِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يُوَصِّلُوا أَفْكَارَهُمْ وَسُمُومَهُمْ وَعَفْنَهُمْ وَبَاطِلَهُمْ وَكُفْرَهُمْ وَمُجَوَّنَهُمْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ بَيُوتَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَعْرِ دَوْرِهِمْ عِبْرَ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ وَعِبْرَ الشَّبَكَاتِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ ؛ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُقُولِ عَقُولِ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ فِي الْبَيُوتِ ، كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَصِلُونَ إِلَى عَقُولِ الشَّبَابِ وَلَا إِلَى عَقُولِ الشَّابَّاتِ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ ؛ لَكِنْ جَاءَتْ هَذِهِ الْقَنَوَاتُ تَحْمِلُ سُمُومَ هَؤُلَاءِ وَعَفْنَهُمْ وَمُجَوَّنَهُمْ وَإِلْحَادَهُمْ وَكُفْرَهُمْ وَضَلَالَهُمْ وَأَصْبَحَ فِي أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَجْلِسُ أَمَامَ هَذِهِ الشَّاشَاتِ السَّاعَاتِ الطَّوَالَ يَصْغِي إِلَى هَؤُلَاءِ وَيَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ؛ فَمَاذَا يُنْتَظَرُ !! مَعَ أَيْضًا إِعْرَاضٍ عَنِ السَّنَةِ وَإِعْرَاضٍ عَنْ مَعْرِفَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَشَأَ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَيْئًا وَلَا سِيرِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّىٰ بَعْضُهُمْ لَوْ قِيلَ لَهُ : مَنْ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ ؟ لَا يَعْرِفُ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ يَعْرِفُ أَسْمَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَوَّلَيْكَ وَأَعْمَالَهُمْ وَأَوْصَافَهُمْ . فَهَذِهِ مِنَ الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي وَجَدَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَنَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ . وَتَزَايَدَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَعَ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ وَالشَّبَكَاتِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ الْإِنْتَرْنِتُ ، فَتَلَوَّثَتْ الْأَفْكَارُ وَالْعُقُولُ وَأَشْرَبَتْ بِالْفِتَنِ وَالشَّهَوَاتِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ وَتِلْكَ الْمَجَالَاتِ الَّتِي قُتِحَتْ عَلَى النَّاسِ وَهِيَ أَبْوَابُ شَرٍّ .

قال: ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ)) ؛ انظر قبل قليل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] ؛ الشيطان خطى بأولئك خطوات - أعني بني إسرائيل - وخطوها هم إتباعاً للشيطان ، خطى بهم خطوات إلى ماذا؟ إلى الكفر ، إلى الضلال ، إلى الباطل ، إلى المعاصي ، والخطوات نفسها أيضاً يريد الشيطان أن يخطو الناس بها في أمة محمد ﷺ ، ونبينا عليه الصلاة والسلام قال هنا : ((حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ)) يعني الخطوات التي خطوها أولئك إتباعاً للشيطان سيوجد في أمة محمد ﷺ من سيخطوها كما خطاها أولئك إتباعاً للشيطان ﴿وَحُضُّهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] ، يخطو الإنسان خطوات أولئك ، ويخوض خوضهم ، ويفعل فعلهم ، سيوجد في الأمة من يكون ذلك ، كل ذلك يقوله نبينا ﷺ نصحاً وتحذيراً ، وفي أحاديثه في هذا السياق أعطانا أمثله تبين وتؤكد ؛ هنا قال: ((حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ)) ، وفي الحديث الآخر ((حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ)) وفي الحديث الآخر ((شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ)) يعني جميع خطواته بالتفصيل بالدقة ؛ ((شبراً شبراً ، ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) يعني لو فعلوا وساروا مسارات ملتوية وباطلة أيضاً يوجد من يسير مسارهم ويسلك مسلكهم ، ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) .

قال: ((حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - يعني من بني إسرائيل - مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَالِيَةً)) يعني جاء أمه على قارعة الطريق ((كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ)) أي كل ما يفعله أولئك يوجد في الأمة من سيفعل ذلك .

العقل عندما يسمع هذا الكلام يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويستعيد بالله تبارك وتعالى من أن يكون على نهج أولئك وعلى طريقتهم ، ويخاف على نفسه . وبعض الناس قد يسمع هذه الأحاديث ويكون قد وقع في إتباع لبني إسرائيل في أمور كثيرة ويظن أن هذا الحديث لا يعنيه ، ويحاول أن يلتمس لنفسه مبررات فيما يصنعه من أعمال ، والواجب على الإنسان أن يحكم السنة على نفسه ، لا أن تكون نفسه مالت إلى أمرٍ معين وهواه مال لأمرٍ معين فيحاول أن يوجد لنفسه مبرراً .

قال: ((وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً)) ؛ تفرقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، هذا التفرق سببه الأهواء ، ولهذا في حديث معاوية الذي أشار إليه المصنف ولم يذكر لفظه قال : ((في الأهواء)) ؛ تفرقوا في الأهواء : يعني كل منهم اتبع هواه وجعل هواه ديناً له ولم يحكم شرع الله ﷻ ، والأهواء ليست هوىً واحداً ، الأهواء متعددة ، ولهذا إذا حُكِّمَت الأهواء تنوعت العقائد والأديان لأن الأهواء مختلفة ، وإذا حُكِّمَت العقول تنوعت العقائد والأديان ، ولهذا قال بعض السلف قديماً : «لو كانت الأهواء هوىً واحداً لقل إنه الحق» ؛ ولكنها أهواء ، وعليه فإن تحكيم الأهواء يُنشئ التفرق .

قال: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - أي بسبب الأهواء - وَتَفَتَّرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً))

((كُلُّهُمْ فِي النَّارِ)) ؛ وهذا وعيد ذكره النبي عليه الصلاة والسلام ، وإلحاق الوعيد بالمعنيين لا بد فيه من شروط ، وله موانع ، فلا يلحق الوعيد بمعين ، وفرق بين التعميم والتعيين في مثل هذه الأحكام ؛ فكلهم في النار هذا حكمهم ، لكن إلحاق الوعيد بأصحاب البدع أو بأصحاب الفرق ممن لم يصل الأمر بهم إلى الانتقال من الملة والخروج من دين الإسلام هذا متوقف على وجود شروط وانتفاء موانع . قال ((كُلُّهُمْ فِي النَّارِ)) .

والمراد بقوله : ((وَتَفَتَّرَقُ أُمَّتِي)) : أي أمة الإجابة ، ليس المراد أمة الدعوة ، يعني من استجابوا للرسول ودخلوا في الإسلام يفترون إلى هذا العدد من الافتراق ثلاث وسبعين فرقة ، قال: ((كُلُّهُمْ فِي النَّارِ)) أي هذا حكمهم ؛ كلهم في النار ، لكن إلحاق الوعيد بالمعنيين هذا يحتاج إلى ضوابط معلومة عند أهل العلم .

قال: ((كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟)) هذا السؤال طرحه الصحابة رضي الله عنهم . لماذا هذا السؤال ؟ ما الدافع إليه ؟ ما الباعث إليه ؟ هذا سؤال من يريد لنفسه النجاة ، عندما يسمع أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة يبحث عن طريق النجاة ، فلما ذكر لهم عليه الصلاة والسلام هذا الخبر قالوا ((مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟)) ؛ لاحظ هنا أن الصحابة رضي الله عنهم يدركون الأمر الذي سبقت الإشارة إليه وهو أن هذا الخبر خرج مخرج التحذير ؛ أي أنه قال ذلك محذراً ، فلما قال لهم ذلك محذراً قالوا ((مَنْ هِيَ ؟)) يعني الفرقة الواحدة هذه ؟ .

والعلماء أخذوا من هذا الحديث لقباً أضيف إلى ألقاب أهل السنة وهو «الفرقة الناجية» ؛ أهل السنة والجماعة: الفرقة الناجية . ولهذا ابن تيمية رحمه الله بدأ كتابه العقيدة الواسطية بقوله : «وبعد ؛ هذا اعتقاد الفرقة الناجية» من أين أخذ قوله «الناجية» ؟ من قول النبي ﷺ ((كلهم في النار إلا واحدة)) ؛ فهذا فيه إشارة إلى النجاة . ((إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟)) يعني من هي هذه الفرقة الواحدة الناجية ؟ ما صفتهم ؟ ما حليتهم ؟ ما علامتهم ؟ ما أمارتهم ؟ أذكرها لنا .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)) ؛ يعني من كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من هؤلاء الناجين ، ولهذا مر معنا سابقاً قول مالك رحمه الله: ((ما لم يكن ديناً زمن محمد ﷺ وأصحابه فلن يكون اليوم ديناً)) ، ولن يكون ديناً إلى أن تقوم الساعة ؛ الدين ما كان عليه محمد ﷺ وصحابته الكرام ، ((ما أنا عليه وأصحابي)) ، فالفرقة الناجية هم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام .

مثل هذا الحديث تماماً يطابقه حديث العبراض بن سارية قال : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَعٍ فَأَوْصِنَا ؛ فَقَالَ : ((أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدٌ حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) ؛ قوله ((فَإِنَّهُ مَنْ

يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً)) هذا مطابق لقوله: ((وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)) ، وهناك قال : ((سَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً سَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً)) يعني تفرقاً كثيراً ذكر عدده في الحديث الآخر قال: ((ثلاث وسبعين فرقة)) ، ما هو المخرج ؟ ذكره عليه الصلاة والسلام دون أن يُسأل عنه ، المخرج هو نفس المخرج في حديث عبد الله قال : ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُخَدَّاتِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُخَدَّاتٍ بَدْعَةٌ)) ؛ فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى المخرج . ولهذا حديث العرياض يصلح شاهداً لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص لأنه ذكر الافتراق الكثير وذكر المخرج منه ؛ وهو أن يكون المسلم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

ولما ذكر الخلفاء وصفهم بصفتين : ((الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)) ؛ الرشاد والهداية ، وبهذين الوصفين وصف الله ﷻ نبيه في أول سورة النجم قال ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] ؛ نفى الضلال فيه إثبات الهداية ، ونفى الغواية فيه إثبات الرشاد . فوصف النبي ﷺ خلفاءه بهاتين الصفتين اللتين وصفه الله ﷻ بهما في القرآن الكريم . والمهتدي : هو من عرف الحق ، والراشد : هو من عمل به .

وقوله: ((الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)) فيه تنبيه على صلاح العلم وصلاح العمل ؛ صلاح العلم بوصفهم بالاهتداء ، وصلاح العمل بوصفهم بالرشاد ، فالمهتدي هو من عرف الحق وهُدي إليه ، والراشد هو من لزم الحق وعمل به ؛ فوصفهم بهاتين الصفتين : صلاح العلم ، وصلاح العمل . قال: ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)) ؛ إذاً سبيل النجاة من هذا الافتراق والاختلاف وهذه الضلالات : أن يلزم الإنسان ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام .

قال المؤلف رحمه الله ناصحاً : ((فليتأمل المؤمن)) أي ليطيل النظر والتدقيق والتفكر في هذا الأمر . ((فليتأمل المؤمن الذي يرجوا لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام)) ؛ يعني دقق النظر وأعد النظر وتفكر في هذا الأمر الذي ذُكر لك ((وخصوصاً قوله : ما أنا عليه وأصحابي)) قف عند هذه متأملاً ، يعني تأمل في أمرين ذكرهما النبي ﷺ :

١- الأمر الأول : أن الافتراق سيوجد وبكثرة في الأمة ، وكان قبل هذا قال: ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل)) فلينبه الإنسان لذلك تماماً .

٢- ثم لينبته في الوقت نفسه أنه لا نجاة من هذا كله إلا بطريق واحد وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، فيبدأ يحاسب نفسه على هذا الأساس ؛ ما حظه مما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام ؟ .

قال: ((يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة)) هذا الإمام رحمه - أعني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - كم اتهم اتهامات هو بري منها الذئب من دم ابن يعقوب عليهما الصلاة والسلام !! ولم يكن يوماً ما يدعو لنفسه ، يكفيك أن تقرأ هذه الكلمات التي نحسب أنها نابعة من قلب صادق ، ما يدعو إلى

نفسه؛ يدعو إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، لم يخترع أعمالاً هو من نفسه يدعو الناس إليها كما هي حال أهل الطرق وأهل الضلال وأهل البدع والخرافات ، لم يدعو يوماً من الأيام إلى شيء يخصه هو أو يتعلق بشخصه ، وهنا يتكلم بحرقه وبألم وبنصح وبدعوة يقول: ((فليتأمل)) ثم يقول: ((يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة)) ؛ فما كان رحمه الله داعية إلا إلى ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام . وفي كتابه «التوحيد» لما أورد قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] قال : «وفيها تنبيه على الإخلاص وأن الداعي إذا دعا يدعو إلى الله لا إلى نفسه» ، فهو ما كان يدعو إلى نفسه ولكن خصومه وأعدائه من أهل الباطل لقّبوه وأتباعه بالوهابية تنفيراً عن الحق ، وأخذوا يفترون عليه الكذب ، وقال بعضهم فيه أنه لا يصلي على الرسول ﷺ ، وقال بعضهم أنه يشتم آل البيت ، وقال آخرون فيه مقالات كثيرة هي كذب عليه ؛ كل ذلك من أجل التنفير ، وهذا الأمر فُعل مع دعاة الحق ومع الأنبياء ، والد حكيم مر معنا حديثه قريباً ؛ بهز بن حكيم روى حديثاً عن أبيه عن جده قال : «أتيت رسول الله ﷺ وقلت له : والله ما أتيتك إلا بعد أن حلفت عدد أصابع يدي أن لا أتيتك» ؛ لماذا هذه الحلوف وهذه الأيمان عدد الأصابع أن لا يأتيه؟ بسبب الدعاية المغرضة، تُبث دعاية مغرضة فينفر الناس ، من يُقبل كلامه إذا كان والعياذ بالله يشتم آل البيت !! أو لا يصلي على النبي ﷺ ! أو لا يحب الرسول عليه الصلاة والسلام أو لا يحب الأولياء ! لا نحسب مسلماً هذه صفاته فضلاً عن عالم وإمام من أئمة المسلمين ، ثم تُلصق هذه المفتريات به فيقولون لا يحب الرسول عليه الصلاة والسلام!! ويقولون يشتم آل البيت !! ويقولون لا يصلي ولا يسلم على رسول الله !! هذه أمور لا يوصف بها آحاد من المسلمين فضلاً عن أن يوصف بها علّم من الأعلام وإمام من الأئمة وأحد أكابر المسلمين وعلمائهم ، لكن هذه الدعايات المغرضة يثتها أعداء الدين للصد عن الحق وعن الهدى ، فهو يوماً من الأيام ما دعا إلى نفسه، حتى أتباعه أو الذين استفادوا من كتبه لم يدعو يوماً إليه وإنما يدعون إلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا سمعنا أحداً من الأشياخ والعلماء يقول "كونوا من الوهابيين" ما سمعنا ذلك ، الذي نسمعه دائماً : "عليكم بالسنة" ، هذا الذي أوصى به هذا الإمام وأوصى به تلاميذه وأوصى به جميع علماء المسلمين ، وانظر إلى دعوته هنا يقول : ((فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصاً قوله «ما أنا عليه وأصحابي» يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة)) ؛ القلب تصيبه حياة ويصيبه موت ، وإذا كتب الله له حياة أبصر الطريق وما لجرحٍ بميتٍ إيلام ؛ الميت لا يستفيد منه ، لكن الحي إذا كان القلب حياً عرف الطريق وعرف الجادة وانتفع بما يُلقى إليه من الخير والعلم .

((رواه الترمذي -أي هذا الحديث- ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه لكن ليس فيه ذكر النار)) ؛ أي ليس فيه ((كلها في النار إلا واحدة)) ؛ هذه الزيادة ليست عند الترمذي من حديث أبي هريرة ، لكن ثابتة في حديث عبد الله بن عمرو وفي حديث معاوية وفي أحاديث أخرى جاءت في هذا المعنى .

قال: ((وهو في حديث معاوية)) ؛ يعني هذا القول «كلها في النار إلا واحدة» هو في حديث معاوية ((عند أحمد وأبي دود ، وفيه)) يعني حديث معاوية زيادة على هذا ؛ يعني حديث معاوية فيه ((افتترقت اليهود على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) وفيه زيادة أشار إليها المصنف .

قال: ((وفيه أنه سَيُخْرَجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِنَّ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ))؛ «تلك الأهواء» إشارة إلى ماذا؟ إلى الأهواء التي أوجدت الافتراق ، لأنه قال: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء)) يعني بسبب الأهواء التي اتبعوها ، عقب ذلك قال : ((وإنَّه سَيُخْرَجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِنَّ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ)) ؛ معنى تتجارى : أي تدخل فيهم وتسري في أبدانهم إلى الأعماق .

ضرب لنا مثلاً قال : ((كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ)) ؛ الكلب : هو داء يصيب الإنسان بسبب عضه الكلب الكلب ، فالكلب الذي به هذا المرض الكلب إذا عض الإنسان - والعياذ بالله - في موضع من بدنه يسري أثر هذه العضة إلى البدن كله ويدخل في البدن كله ، يعني لا يستقر ألم هذه العضة وأثرها على موضع العضة ؛ وإنما يسري في البدن كله، ويُنشئ في الإنسان - والعياذ بالله - اختلالاً في عقله وفساداً في فكره وجنوناً وخبلاً ، وفي الغالب أنه لا ينتهي به الأمر إلا بالموت على إثرها ؛ يعني يضطرب البدن ويختل ويسري فيه كله ويؤثر حتى على عقله فيختل ويُجن وتكون النهاية في ذلك هي الموت . هذا داء الكلب ، وهو معروف ، داء يعرفونه .

فالنبي ﷺ ضرب مثلاً ليتضح به هذا الأمر قال: ((تَجَارَى بِهِنَّ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ)) ؛ يعني تدخل فيهم الأهواء وتسري في أعماقهم ((كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ)) ؛ يعني كما يدخل الكلب بصاحبه ويتعمق فيه ويُفسد عليه بدنه كله بما فيه عقله وفكره . وهذا شأن الأهواء تدخل الإنسان رويداً رويداً ، تدريجاً تدريجاً إلى أن تتعمق فيه وتغطي فكره ويصبح لا يرى إلا ما يملئ عليه هواه ، تأتيه السنة الواضحة والحجج البينة فيأبى ؛ لأن الهوى سيطر عليه وملأ جوانحه وملئ به من الداخل وتجارت به الأهواء وأصبحت تعصف به في كل وادٍ من أودية الضلال والباطل .

كان يكفي في معرفة هذا الأمر قوله: ((كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ)) ؛ الكلب داء معروف تعرفه العرب ويعرفون أنه إذا أُصيب به الإنسان تجارى به بحيث يصل إلى جميع بدنه ، فلم يكتفِ ﷺ بل زيادة في البيان قال: ((فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ)) ؛ يعني إلا دخله هذا الهوى مثل ما يتجارى الكلب بصاحبه حتى يصل كل عرق وإلى كل مفصل من الإنسان ، وهنا تكون مصيبة الإنسان عظيمة جداً ؛ إذا انتشر الهوى في بدنه كله وتجارى به الهوى حركة يده عندما تتحرك تكون تحركت بالهوى ، قدمه إذا خطت خطت بالهوى ، عينه إذا

نظرت بالهوى ، أذنه إذا سمعت بالهوى ، أصبح كل بدنه يحركه الهوى ، في خطواته ، في أخذه ، في عطائه ، في ذهابه ، في رواحه ، في جميع حركاته الذي يحركه هو الهوى الذي تجارى به وسرى في بدنه ودخل في أعماقه .
والنبي ﷺ قال ذلك محذراً قال : ((إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ)) ؛ نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا أجمعين .
اللهم أحفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين يا ذا الجلال والإكرام .

ثم قال : ((وقد تقدم قوله - أي قول النبي ﷺ : ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)) ؛ في الحديث المتقدم ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة - وذكر منهم - مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)) أي من يطلب ويريد في الإسلام سنة الجاهلية ، ما هي سنة الجاهلية ؟ أي طرائقهم وأعمالهم ؛ هذا الذي قاله النبي ﷺ ((ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)) إشارة إلى أن هذا سيوجد أو أنه لن يوجد ؟ سيوجد ، فساقه المصنف رحمه الله لأنه مطابق لقوله ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) ؛ بمعنى أنه سيوجد من يفعل سنة الجاهلية ، وسيوجد أيضاً من يدعو إلى سنة الجاهلية ، وعرفنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المتقدم أن سنة الجاهلية تتناول ما كان عليه المشركين وما كان عليه اليهود والنصارى ، وقد مر معنا كلامه رحمه الله سابقاً فليراجع .

وعلى كل حال ؛ سنة الجاهلية : ما عليه اليهود ما عليه النصارى ما عليه المشركين ؛ كل هذه الأعمال سيوجد في الأمة من يطلبها ويتبعها ويريد أن يسنها في الإسلام ، وهذا من الثلاثة الذين هم أبغض الناس إلى الله ﷻ كما مر الحديث بذلك .

فهذا الحديث ونظائره مما ذكره المصنف رحمه الله وما لم يذكره في هذا الباب ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة كلها تجعل المسلم ينتبه ويحذر غاية الحذر ؛ في باب العقائد وهي أهم ما يكون ، وفي باب العبادات ، وفي باب الأخلاق والمعاملات ، فيحذر على نفسه وعلى أهله وعلى ولده وعلى بيته من أن تكون حاله من حال هؤلاء الذين ذمهم النبي عليه الصلاة والسلام .

وهذه الأمور توجد في الناس بسبب قلة العلم أو فساد القصد ؛ إذا كان الإنسان قليل العلم في الدين ومعلوماته الشرعية قليلة فإنه قد تدخل عليه هذه الأمور . ولنختم هنا بحديث أبي واقد الليثي وهو حديث صحيح يقول : «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَخُحْنٍ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا» أي يمكثون عندها وقتاً طويلاً «وَيُتَوَطَّؤْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ» أي يعلقون أسلحتهم على تلك الشجرة التماساً للبركة ، حتى تبارك الأسلحة بتعليقها على تلك الشجرة «فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» اختر لنا شجرة مثلهم نكف عندها ونعلق عليها أسلحتنا للبركة . أبو واقد يعتذر عن هذا الكلام الذي قاله بقوله : "كنا حدثاء عهد بكفر" يعني مسلمين جدد ، فقلة العلم بالدين وبتفاصيله ينشأ عنها هذا وأمثاله ، فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ : ((اللَّهُ أَكْبَرُ)) وفي رواية قال : ((سبحان الله)) ؛ سبح الله وعظمه وكبره عن هذه المقالة العظيمة الخطيرة، قال : ((اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ)) ماذا تعني هذه الكلمة «إنها السنن» ؟ ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) هي سنن ماضية باقية في الناس ((أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن)) في سنن باقية ، ((اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بنو إِسْرَائِيلَ : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] قُلْتُمْ مثلهم ! وهذا معنى قول الله في الآية ﴿وَحُضُّنَا كَالَّذِي خَاضُوا﴾ هذا عام ؛ كل ما يفعله الناس مما كان يفعله من قبلهم من ملل الكفر خوض في الذي خاض فيه أولئك ، فلينتبه العاقل كما قال المصنف رحمه الله «فلينتبه وليحذر» ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) يعني لتركن الطريق الذي ركبه من كان قبلكم . وإذا كان هؤلاء الصحابة الذين هم حدثاء عهد بكفر وهم يمشون مع النبي ﷺ جنباً إلى جنب وبأيديهم السلاح وماضون لمقاتلة المشركين ويقولون «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» فما لكم بمن بعدهم ؟! إذا كانت هذه المقالة بسبب الجهل بالدين وقعت من هؤلاء وهم يمشون مع النبي عليه الصلاة والسلام جنباً إلى جنب ؛ فما بالكم في مثل هذه الأزمان المتأخرة التي قل فيها العلم ، وقلّت الدراية بالسنة ، وقل نصيب الناس من السنة !! هؤلاء يمشون جنباً إلى جنب مع النبي صلى الله عليه وسلم ومتجهين بأيديهم السلاح وماضين لقتال المشركين ويقولون «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ»!! خصص لنا شجرة نعكف عندها ونعلق عليها أسلحتنا للبركة ، فيقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم ((قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعلنا إلهاً كما لهم آلهة)) ؛ إذا كان هذا وجد في هؤلاء وهم في هذا المقام العظيم فكيف بمن بعدهم مع قلة العلم وقلة السنن !!

وهذا يبين لنا سبب انتشار الخرافات والباطل والشركيات والضلالات بين الناس وضياع الدين . والواجب على العاقل أن ينصح لنفسه وأن يتأمل هذه الأحاديث العظيمة التي ساقها المصنف رحمه الله في هذا الباب ، وأن يحقق الترجمة التي عنون المصنف ناصحاً ومورداً تحتها هذه الأحاديث بقوله رحمه الله «باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه» . هذه نصيحة بليغة من المصنف ، وهي دعوة إلى الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه من هذه الأهواء والتشبهات والضلالات والشركيات والخرافات والبدع ، كل هذه ليست من الإسلام ؛ الإسلام : ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ، وما لم يكن ديناً زمن محمد ﷺ وأصحابه فلن يكون ديناً إلى أن تقوم الساعة . والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.